الفصل الثالث

دواعي الاهتمام بالموروث الشعبي وأهم وظائفه

- أولاً: دواعي الاهتمام بالثقافة والموروث الشعبي في بناء الإنسان.
- ثانياً: وظائف الموروث الشعبي متمثلا في كليلة ودمنة.
- ثالثاً: ديالكتيك العلاقة بين الثقافتين النخبوية والشعبية: وحضورهما في الزمان والمكان.
- رابعاً: موقف الخطاب التربوي والأدبي المعاصر من الثقافة الشعبية وتأثيرها في بناء الإنسان المعاصر.
- خامساً: التربية وإعادة البناء السياسي والعلمي/ الثقافي للإنسان بإستلهام الموروث الشعبي.

obeikan.com

obeikan.com

❖ أولاً: دواعي الاهتمام بالثقافة والموروث الشعبي في بناء الإنسان:

يعد الإنسان محور عملية التنمية التي ترتكز على ممارسة حقوقه ، وصيانة كرامته المستمدة من الوفاء بحاجاته في الطعام والشراب والملبس والصحة والضمان الاجتماعي وحريته ، ومن خلال المشاركة في حركة مجتمعه وعمرانه. وهذا يتطلب ثقافة وطنية دينامية متفاعلة مع الثقافات الأخرى بوعي نقدي.

والمستقرئ للواقع الراهن يرى أن العاملين الاقتصادي والسياسي يسيطران على حياة الشعوب ، و يتراجع تأثير العامل الثقافي. وهذا يدعو إلى اليقظة ، إذ أن العامل الثقافي في أي مجتمع عامل أساسي في تقدم هذا المجتمع لأنه يرتبط بالبشر وبناء الإنسان والتنمية والاستثمار البشري والاستثمار المعرفي وتشكيل العقول وهى ركائز وأهداف في ذات الوقت لا يخفي عظم تأثيرها في تقدم الشعوب. كما تمثل الثقافة العامل الأبرز في تمايز الحضارات واختلافها ، وأهم عوامل التميز والخصوصية من مجتمع لأخر.

وفي شأن الثقافة الشعبية يرى المسيري :أنها تحدد إدراك الملايين للعالم ولأنفسهم ، ويمكننا أن نرصد تصاعد معدلات الحداثة المنفصلة عن القيمة من خلال الدراسة المقارنة للأعمال الشعبية ، ولا شك أن انفصال القيمة عن جوانب كثيرة من حياة الإنسان يؤثر كثيرا في رؤيته وتوقعاته من نفسه ومن الآخرين وفي سلوكه اليومي (المسيري ، 2006 ، 309).

وفي حديث مع حامد عمار في ندوة الهلال 2006 ، وسؤاله عن أهم ما يمكن التركيز عليه في الإستراتيجية والسياسات التعليمية أجاب: علينا أن نركز على ضمان توفير ثقافة قومية وطنية علمية دينية تكنولوجية عالمية إنسانية ، ولكي

تكون هذه الثقافة العروة الوثقى التي تضمن تماسك المجتمع (عمار، 2006، 26). فقد جمع **عمار** في الثقافة المطلوبة كل عناصر القوة، فجمعت بين الإطار القومي والوطني وبين علميتها وهويتها الدينية، وثوابتها وخرجت من نطاق الانغلاق على الذات إلى الانفتاح والعالمية. ويرى العمل الحالي أن الوعي بالجيد من الثقافة الشعبية، من خلال التفكير النقدي في منتجاتها؛ يسهم في تحقيق تلك الثقافة المأمولة.

هذا ويتأسس الدور الثقافي للتعليم والتربية على أساس دورهما في تكوين وبناء شخصية الفرد، فيتأسس لديه العامل الثقافي في شكل بناء قيمي، وتنمية معرفية عصرية، وانفتاح واعي على ثقافة الآخر، وإنماء الخيال الخصب والإبداع وتعليم النشء كيف يحلم وكيف يأمل ويخطط ويسعى لتحقيق حلمه.

إن درس الثقافة العربية الذي يؤدي إلى حسن الإدراك والفهم لا يتأتي إلا بدرس الثقافة الشعبية العربية. فالثقافة الشعبية هي الأساس التحتي للبناء الثقافي، وتبرز أهمية هذا الدرس للثقافة الشعبية في أقطار الوطن العربي خصوصا، نتيجة لضخامة الكتلة البشرية التي مازالت تعتمد الثقافة الشعبية ثقافة لها مقارنة بمن يعتمدون الثقافة الرسمية. وتبين أهمية هذا الدرس للثقافة الشعبية عندما يكتشف دورها في صياغة الثقافة المستقبلية، سواء على مستوى الدور الراهن أو على مستوى الدور الممكن (حواس، 2006، 103). وهذا ما أكده عبد الغفار المكاوي حيث يرى أن التراث يلزم ورثته دراسته ومعرفته والوعي به وبالأحرى تجاوز أخطائه وأعبائه؛ بحمل العناصر والقيم الجديرة بالحياة والبقاء ليصبها في نهره المتدفق صوب الحرية والتقدم والاستنارة والعدل، تلك التي مثلت

ثورة للماضيين الذاهبين ، كما أنها الحلم والمستقبل والعمل في سبيل تحقيقه هو ثورة الحاضرين والآنيين أو ينبغي أن يكون (مكاوي ، 1994 ، 6).

كما تؤكد الشواهد أن فكر النهضة أدرك منذ البداية أن عمله في التجديد والتأسيس لن يكون مجديا أو فعالا إلا بالعمل الثقافي. ذلك العمل الذي يؤدى إلى تحرير البنية الثقافية القائمة ويجدد معالمها ويفتح آفاقها على غد أكثر رشدا وجمالا ، مما يجعلها قادرة على مواكبة هذا التجديد والتأسيس ، بل ودفعه. ومن ثم، نشط رجال النهضة مسلحين بوعيهم الجديد "بالذات الوطنية" إلى بناء "ثقافة وطنية".. تعمل على تشييد أركان البلاد وتحرير العباد وإطلاق الطاقات الإبداعية لعقولهم ووجداناتهم (حواس ، 2006 ، 11). ويرى "كيملكا "في أهمية الثقافة الوطنية ، والانتماء الثقافي ما يلي (مجيد ، 2010 ، 31-32): الأول أن الثقافة تفيد الأفراد في تعيين نطاق وبناء عالمهم فتساعدهم بذلك على اتخاذ القرارات الصائبة بخصوص ما هو قيم بالنسبة لهم ، فتقدم لهم الخيارات الهادفة وترشد قرارتهم ...والثاني أن الثقافة تهب الأفراد حس الهوية فهي لهم مصدرا غير مشروط وشامل للانتماء والارتباط ببعضهم البعض ، إنها تسهل إمكانية التفاهم المتبادل وتعزيز التضامن الاجتماعي والثقة في ما بينهم.

وانطلاقاً من أن الهوية القومية ترتبط بوثاق يجمع بين الثلاث لحظات من الزمن الماضي والحاضر والمستقبل فإن موروث أي أمة وثقافتها الشعبية وأدبها الشعبي يمثل ضمير الشعب وروحه ولا يمكن إغفاله أو طمسه إذا يعنى ذلك طمس للهوية ومن ثم فقد مقوم مهم لوجوده وفقد قيم أساسية في ثقافته. لذا يرى دوسيل أن الخطوة الضرورية الأولى على طريق الثورة الثقافية للمحيط ، هو إثبات الثقافة

القومية أو الشعبية في مواجهة الثقافة الإمبريالية. ويرى أن الثقافة الشعبية هي الثقافة المقهورة والتي تمتلك رموزا وقيما وتقاليد وحكمةً متراكمة تعرف أعدائها وأصدقائها ، وأنها أقل تلوثا بشكل نسبي ، وقلب مشع لمقاومة الظالمين (خليفة ، 2007 ، 88). لكن السؤال هنا كيف تستطيع الثقافة الشعبية (المقهورة) مواجهة الثقافة الإمبريالية (المركز) وفي نفس الوقت تواجه النخبة التي تزدرء هذه الثقافة في مجتمعها؟ إن مناقشة هذه النقطة يعود بنا إلى فكر باولو فريري وثقافة المقهورين وطرحه لملامح تلك الثقافة.

عبر التاريخ هناك وثبات ونبضات تحدث في الثقافة الوطنية الناهضة من حيث حضورها في الحياة الثقافية لدى الفئات المثقفة الأخرى وخاصة شرائحها القائدة. فانتقل تقدير الثقافة الشعبية ، لفترة من التهميش والانتقاص إلى الاعتراف بجوانب منها على أنها من الرصيد الثقافي أو إلى حد الإفراط الرومانسي في تمجيدها أحيانا. وأخذ الاهتمام بالثقافة الشعبية في الاتساع حتى تشعب إلى محاور ثلاثة: العمل الثقافي العام ، والعمل الدراسي الجامعي ، والعمل المؤسسي من خلال أجهزة الدولة (حواس ، 2006 ، 13).

تأسيساً على ما سبق يمكن إيجاز بعض دواعي الاهتمام بالثقافة والتراث الشعبي فيما يلي:

- إن القيمة الحقيقية لتراث الأمة ، في كونه مرتبطا بتاريخها ، وترتبط الحكايات والقصص وألوان التراث الأخرى وتتلون طبقا للانتماءات السياسية والأوضاع الاجتماعية ، وهذا يعني ارتباط الأدب الشعبي بالحياة.
- تلعب الثقافة الشعبية دورا كبيرا في تعزيز الانتماء الثقافي الوطني.

- ارتباطها بالأغلبية الشعبية ، وتعبيرها عن ضمير السواد الأعظم من الطبقات الشعبية.
- أنها تستطيع بما تمتلكه من قيم ايجابية ؛ مواجهة الحداثة المنفصلة عن القيمة حيث تمثل نوعا من المقاومة للامبريالية الثقافية ودعم الثقافة الوطنية.
- تسهم بإيجابياتها في صياغة الثقافة الآنية والمستقبلية ، لأنها جزء من البنية الكلية للثقافة.

هذا وتستطيع التربية أن تسهم في إحداث تغييرات عميقة في بناء الإنسان المعاصر على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية/الثقافية ، من خلال استلهام القيم والحكم والمضمون الإبداعي للتراث للتعامل مع معطيات العصر وتجسد إيجابياته وامتلاك روحه ، فتتمثل ما هو أصيل وجيد بروح معاصرة. فينسحب النقد للنظم السياسية والأوضاع المجتمعية من خلال الألوان المختلفة للأدب الشعبي ، لتتطور وفق مستجدات العصر.

❖ ثانياً: وظائف الموروث الشعبي متمثلا في كليلة ودمنة:

وظائف الموروث السياسية:

ارتبط الأدب الشعبي في ألوانه المختلفة (قصص . حكايات . أمثال شعبية . ملاحم) بشكل النظام السياسي وأساليبه وطريقته في الحكم وشكل العلاقة بين الحاكم والشعب ، ونمط الحكم. فكان الأدب الشعبي مرآة تعكس واقع الحياة السياسية وتعبيرا صادقا عن شكل هذه الحياة وطبيعة العلاقات السياسية بين أفراد الشعب وبعضهم البعض وبينهم وبين النظام السياسي.

ويقوم العمل السياسي ذاته داخل مجموع يبنى بشكل قانوني كتشكيل اجتماعي تاريخي خاضع لقوى الدولة ، من العشائر إلى القبائل ، إلى القرى والمدن والممالك... حتى أعتى الأنظمة السياسية والإمبراطوريات حيث الحياة السياسية المنظمة. ويسير بناء النظم السياسية أو التشكيلات الاجتماعية في المحيط الثائر **خلال أربع مراحل بنائية متشابهة وليست متطابقة وهي** (خليفة ، 2007 ، 79-80):

المرحلة الأولي : تبدأ بمقاومة القهر ، والكفاح ضد المسيطر.

المرحلة الثانية: تستلزم تنظيمات الدولة ، وأسلوبا جديدا للإنتاج.

المرحلة الثالثة: توطيد ارتقاء المبدعين النبلاء الشرفاء.

المرحلة الرابعة: مرحلة الدولة والتشكيل الاجتماعي ، حيث تنمو القوى الإنتاجية ويكتسب الفن الحربي أولوية.

وفي العصر الذي عاش فيه ابن المقفع كانت الصراعات السياسية على أشدها وأن طاعة الحاكم كانت مطلقة ، وإذا توفر العقل والفطنة والدهاء تكاثر الاستبداد والطغيان. وهذا ما دفع ابن المقفع لاستلهام قصص الحيوان وتوظيفها في نقده كقناع وإطار رمزي للنقد السياسي وما ينطوي عليه من كشف النظام السياسي الظالم وتعريه وفضح المظالم وبطش العسكر. من ثم كانت الوظيفة السياسية **والتي يمكن إيجازها فيما يلي**: (النجار، 1995 ، 208).

1- كشف الواقع السياسي القاهر وفضح مظالمه.

2- الدعوة إلى التمرد والمقاومة ضد هذا الواقع والثورة عليه.

3- تحقيق المواطنة للحاكم والمحكوم وذلك بتقويم السلوك السياسي للراعي والرعية معا (معرفة الحقوق والواجبات).

لذلك صنف القدماء كتاب كليلة ودمنة ضمن (علم تدبير الملك) وذلك دون أن يتعرض المؤلف لبطش السلطة خاصة في العصور التي كانت ترى السلطان ظل الله في الأرض (نظرية التفويض الإلهي). فكان كتاب كليلة ودمنة مثالا لتحقيق تلك الوظيفة. إلا أن السلطة آنذاك كانت سلطة ثيوقراطية "أبو جعفر المنصور" قد أدركت هذه الغايات الباطنية ولم تشأ أن تصرح بها لكنها انتقمت أبشع انتقام من المؤلف بتهمة "الزندقة".

تأسيساً على ما سبق فإن الحاكم اليقظ الراشد هو الذي يفهم مغزى الرسائل السياسية الموجهة إليه والكامنة في أي نص مكتوب بكافة أشكاله. أو رسالة شفهية رمزية ، فيرتد عن ظلمة واستبداده ويقيم العدل الذي يؤذن بالعمار والرخاء بين الشعب وهذا خير مثال على أسباب سقوط بعض الأنظمة العربية في العام 2011 حيث الحكم بين الناس بالظلم والطغيان وافتقاد العدالة وما ترتب على ذلك من آثار مدمرة على المستوى الفردي والجمعي والقومي.

الوظائف التربوية:

بالنظر إلى التربية على أنها عملية انتقاء للخبرة ونقلها ، وتواصلها عبر الأجيال ، فإن هذه الخبرة التي تنطوي على معارف ومهارات ، وقيم تجعل الوظيفة التربوية حقيقة مؤكدة وممتدة الأبعاد لما قدمه كتاب كليلة ودمنة من قصص على لسان الحيوان تتضمن عديد من القيم والحكم.

فيرى النجار أن الوظيفة التعليمية للقصص على لسان الحيوان تستهدف النقد الاجتماعي والأخلاقي ، فهي تتجاوز العادات أو تدعيم التقاليد أو تأكيد القيم والمثل العليا ، أو تشريح أنماط السلوك أو تقويم أعوجاج خلقي أو اجتماعي أو تعلم درس علمي ، تتعدى ذلك إلى الحفاظ على رصيد الخبرة العملية ونقل التجربة الإنسانية للأجيال ، على المستويين الفردي والجمعي معا ، وساعد على ذلك الطابع العالمي والإنساني في مضمون الحكاية على لسان الحيوان (النجار، 1995 ، 209-210). فقدمت تلك الحكايات مضامين تربوية متنوعة تحقق وعي الإنسان بالواقع وتشير إلى سبل التغيير.وتقدم الدراسة التحليلية الحالية عديد من الأسس التربوية في جوانب البناء السياسي ، والعلمي/ الثقافي للإنسان.

الوظيفة الجمالية والإبداعية:

يري ابن المقفع أن ما تقدمه الحكاية على لسان الحيوان من ترفيه وتسليه يحقق الوظيفة الجمالية والتي يسميها "اللهو" وما ينطوي عليه من روح الفكاهة والإدهاش والعجائبية والغرائبية حيث تنسال الحكمة على ألسن البهائم والسباع والطير... فتكون أدعى للقبول والإقناع مما لو كان على لسان الإنسان التي تنطوي حكمته ونمائه على نوع من الاستعلاء الضمني بين الناصح والمنصوح. إنه التعليم من خلال اللعب الأدبي والحكمة من خلال اللهو القصصي ولذلك يرى النجار (النجار، 1995 ، 211): أن تعريف ابن المقفع لحكاياته دالا حين قال في تبرير هذا النوع من القصص "فصار الحيوان لهوا ، وما ينطوي به حكمة وأدبا" ، وتأتي الإبداعية فيما تقدم للشكل غير المألوف بل تقديم ما هو مألوف على أنه غير مألوف،

فنراه رؤية جديدة ويثير فينا معاني جديدة ، وتقدم له أدله إقناع بأسلوب جديد فتتحقق التذوق الجمالي والإبداعية في إطار القصص.

الوظيفة الثقافية:

حدث تغيير سريع في المجتمعات البشرية ، وتداخلا ثقافيا بين الشعوب نتيجة لعوامل الاتصال المختلفة سواء المباشرة منها أم غير المباشرة خاصة مع التطور التكنولوجي السريع ، حيث زالت الحواجز والحدود واقترب العالم إلى حد كبير. هذا ويلعب الأدب الشعبي دورا كبيرا من خلال توظيف وسائل الاتصال في التعريف بحياة وتاريخ كل مجتمع ، بصدق التعبير ومصداقية الكشف عن الواقع، وتميز ما تضمره من حكم وقيم... تنتقل من مجتمع إلى آخر فيتحقق التلاقح الثقافي والتواصل بين المجتمعات. وتثري الخبرات الإنسانية بعناصر ثقافية قيمية ومعرفية متميزة تسهم في إنماء وعي الإنسانية وصعود الحركة الاجتماعية عامة.

فالأدب الشعبي ، كإبداع فردي وجماعي يعبر عن ذوق الجماعة ، وما تحمل البيئة من موروثات ونتاج ثقافي متوارث ، تعبر عن فكر ووجدان المجتمع وتعطي هذا المجتمع أو ذاك ، خصائص فنية متميزة عن غيره من المجتمعات الإنسانية وتؤكد وجوده بفاعلية نشيطة وبسيطة في آن (كمال ، 1995 ، 239).

هذا ونجد الحرص على توظيف نماذج الأدب الشعبي الأصيل ، واستلهامه في الوقت الراهن حيث العناصر المتشابكة والقضايا المتشابهة باختلاف السياق الاجتماع تاريخي ، سوف يحقق التواصل الثقافي بين الماضي (الموروث) وبين ما هو كائن بل ويستشرف طموحات المستقبل في كشفه لرؤى جديدة بوعي دون الوقوف عند الموروث. وقد ينسحب هذا إلى تحقيق التواصل الزمني الأفقي

في المجتمع (في ذات الفترة الزمنية). لذا من الأهمية بمكان أن ينتبه المجتمع ، إلى عملية التكامل بين الثقافة والأدب الشعبي والثقافة والأدب النخبوي تحت مظلة تكوين بنية ثقافية متفاعلة وممثلة لكل أطراف المجتمع ومعبرة تعبير حقيقي عن الفكر الجمعي للأمة.

❖ ثالثاً: دياكتيك العلاقة بين الثقافتين النخبوية والشعبية: وحضورهما في الزمان والمكان:

تنقسم الثقافة في أي مجتمع بشكل عام إلى قسمين رئيسين هما الثقافة المحلية ، والثقافة الوافدة. وتنقسم الثقافة المحلية عامة إلى ثقافة نخبوية ، وثقافة شعبية – مع تنوع المسميات في بعض الأحيان وكذا الشرائح المتباينة في ظل هذا التقسيم- وعلى قدر التفاعل والاندماج والتكامل بينهما ؛ يتحقق التماسك الاجتماعي ويتم تعزيز الثقافة الوطنية أو العكس. في ذات الوقت فإن تحقيق ذلك يتطلب تقليص الازدواجية الثقافية ، وتبيان دور الثقافة الشعبية في البناء الثقافي العام مع تقدير وتعزيز هذا الدور، الذي فطن إليه مفكري النهضة ، وكان دافعا وداعما للثقافة الوطنية.

والمستقرأ لواقع الثقافة الشعبية في مجتمعنا يلحظ انحسار تلك الثقافة في إطار مفاهيمي ضيق وظالم لمضمونها وهذا ما يؤكده حواس فيقول: "يظل الإحساس بحضور الثقافة الشعبية في بلادنا محاصرا بمفاهيم التراث الشعبي التقليدية أو بثقل التاريخ وتراكماته ، دون اعتبار لتفاعلات الثقافة الشعبية المجسدة لحياة الشعوب المادية والمعنوية ، بل والمتخيلة. فالثقافة الشعبية ثقافة ينتجها العامة تميزا لها عن الثقافة الرسمية التي ينتجها الخاصة ، وهذا الذي

يكسبها صفة الشعبية. وإنجازات الثقافة الشعبية هي إبداع جمعي" (حواس ، 2006، 9، 129).

واتضحت العلاقة الوثيقة بين الثقافة الشعبية ، والأدب الشعبي ودعم الثقافة الوطنية من خلال تتبع الآداب الشعبية العالمية والمحلية ، حيث الاهتمام بالطبقات الدنيا ولغاتهم بعد كتابات هيجل وآخرون عن الروح الوطنية. وكذا تتبع الكتابات المحلية مثل أعمال سيد درويش في إزكاء الروح الوطنية (صالح ، 1997 ، 2). فالأدب الشعبي باعث للروح الوطنية ومحدد ومطور للحياة والثقافة والواقع المعاش.

لذا يرى حواس أن : " الثقافات تحكمها علاقة جدلية متفاعلة ، أساسها قانون الصيرورة والتغير الدائم ، ومن هنا فظهور توجهات جديدة تسعى إلى نفي القديم السائد وتجاوزه ليس في حاجة إلى تنويه. ويظهر هذا بوضوح في الثقافة الرسمية ، خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أنها ليست كتلة ثقافية متجانسة ، وإنما تتمايز إلى تيارات واتجاهات ، لذا يمكن فرز الثقافة الشعبية وإعادة تقييمها على أسس رشيدة ، ومن ثم يمكن دمج الإيجابي منها في البناء الثقافي الجديد المتجاوز لكل الازدواجات القائمة أي بناء الثقافة الوطنية الناهضة ثقافة مبدعة" (حواس ، 2006 ، 131،11). حيث أن المعالجات التجزيئية للواقع الثقافي والنظرة الصفوية للثقافة نتج عن النظرة التجزيئية للثقافة وكأنها مكونات متجاورة وهذا يعطل بل ويقتل أي عمل إبداعي ويعرقل الخطط والسياسات التي قد تمثل خرائط جيدة للعمل الثقافي على مستوى الفكر والواقع. هذا وينبني

على النظرية التجزيئية للثقافة إهمال وظلم للثقافة الشعبية وإسقاطها من الحاضر الثقافي للمجتمع.

ويعطي ريكودوسيل (*) "الأولوية للثقافة الشعبية على ثقافة الحضارة الحديثة بهدف تحرير التربية ، وتحرير ثقافات الشعوب في المحيط وتجنب الاغتراب الثقافي والتربوي. فيرى أن الثقافة الشعبية في القارات الثلاث (أمريكا اللاتينية ، وآسيا ، وأفريقيا) هي الثقافة التي سينبثق عنها اختيارات جديدة لمستقبل الثقافة العالمية ولن تكون مجرد صدى لأبنية المركز ، وأنها أقل تلوث ويجب أن تدرس فضائلها وقيمها بشكل جيد وماهر حتى تجد الثورة الثقافية مضمونها الأصلي الحقيقي (خليفة ، 2007، 26، 86).

تأسيساً على ما سبق يكون من المهم تشريح الثقافة إلى تقسيماتها المختلفة للكشف عن مكان ومكانة الثقافة الشعبية وما تضمره من عناصر إبداعية تشارك في بناء الإنسان ، وترصد إبداعاته وتفكيره في ذات الوقت. حيث ترى الدراسة الحالية أن دراسات العقل العربي بشكل عام انشغلت بعقل وثقافة الصفوة بصفتها الصانعة لهذا العقل ، وأهملت الثقافة الشعبية.

(*) ريكودوسيل: فيلسوف مكسيكي.

❖ رابعاً: موقف الخطاب التربوي والأدبي المعاصر من الثقافة الشعبية وتأثيرها في بناء الإنسان المعاصر.

ويوضح العمل الحالي هذا المحور في نقطتين أساسيتين كما يلي:

1. التربية والثقافة الشعبية خطاب التحرير وبناء الإنسان:

في هذه النقطة نحاول الإجابة عن سؤال كيف تكون الثقافة الشعبية (والأدب الشعبي جزء من هذه الثقافة) عامل مهم في مشروع التحرير التربوي؟

هذا المشروع الذي ينطلق من وعي الشعب بثقافته وخاصة المتميز منها، من أجل الارتقاء ببناء الإنسان في هذا المجتمع. وفي هذا دعوة مهمة لإيقاظ المثقفين أنفسهم للقيام بالدور المنوط بهم في تكوين وعي نقدي بالأدب الشعبي والثقافة الشعبية المتميزة كعنصر مهم للتحرر التربوي والتحرر المجتمعي.

إن تحرير التربية كما يرى ريكو دوسيل ليس في تحرير الطريقة ونقد سلبية التلقي عند التلميذ فحسب ولكنه يؤكد أيضا على تحرير الثقافة الشعبية في مضمون الخطاب التربوي، وأن ذلك يتطلب المعلم الثوري والمثقف الثوري لما يتميزان به من عقلية نقدية تسمح بانتشار التفكير النقدي بين الناس، وهو ما يساعد في قيام الثورة الثقافية. وبالتالي، فالمدرسة التحى تبتعد في مناهجها عن الثقافة الشعبية في إطار التواصل التربوي، تجعل من ذاتها الوسيلة الوحيدة للتربية، وتترك المتعلمين في حالة اغتراب تربوي وجهل بثقافته الشعبية. من ثم فإن التحرير التربوي يتطلب أن يعرف المعلم كيف يستمع باحترام للشباب والمتعلمين، فالمعلم الحقيقي هو الذي يصبح صبورا، حيث الوعي والتنظيم والإبداع (خليفة، 2007، 26-89). ومن ثم فالإبداع النقدي للثقافة الشعبية مقاومة

للامبريالية الثقافية. وقد كشف عن ذلك ما قدمه عديد من المفكرين في أنحاء العالم المقهور من أفكار تضمنتها أعمالهم ، مثل كتابات باولوفريرى والكواكبى ودوسيل...وآخرون.

وكما قال ستيفن جاى **غولد**: "إن التفكير النقدي ، إن اجتمع مع التهذيب الأخلاقي لهو أقوى الوسائل قاطبة لتحقيق مستويات من الخير لم يعرفها كوكبنا" (علي ، 2009 ، 24). وإذا كانت الدعوة إلى تحرير الثقافة الشعبية وإبراز دورها في تكوين الهوية والتشكل الثقافي وغيره ، فإن ذلك لا يعنى الانغلاق على الأطر الثقافية الأخرى بل يعنى احترام تلك الثقافة وتقدير قيمها الإيجابية من خلال الخطاب التربوي والممارسة التربوية ، وإبراز جوانب الإبداع بها ومحاولة الحفاظ على ما فيها من فضائل وتنميتها وتطويرها حتى لا يكون البديل هو الموت الثقافي للشعب والنخبة على حد سواء بالانتماء إلى قيم وتقاليد الثقافة الإمبريالية أو غيرها مما يعنى الاغتراب الثقافي والتربوي والاقتصاد/سياسي.

2. موقف بعض التيارات الفكرية ، ورواد الأدب من الثقافة الشعبية:

تباينت مواقف المثقفين من الثقافة الشعبية وفقا لتوجهات التيارات التي ينتمون إليها وكذا انتماءاتهم الاجتماعية **ومن أبرز هذه المواقف ما يلي** (حواس ، 2007 ، 103-105):

رأي دعاة التغريب في ظواهر الثقافة الشعبية مظهرا من مظاهر التخلف يقف حجر عثرة في طريق التمدين والتحديث أو كطرافة متخفية تثير الحنين نحو الماضي البرئ المفقود. وهي في كل الأحوال مبعدة عن واقعنا المعاش. ويلتقي

مع دعاة التغريب في موقفهم دعاة الأصولية السلفية ، وإن اختلفت منطلقات كل منهما، كما رأي دعاة القومية العربية في ظواهر الثقافة الشعبية مظهراً من مظاهر التفكك القومي يؤكد عوامل الفرقة ويدعم الشعوبية. فالثقافة العربية الجامعة في تقديرهم هي التراث أي مأثور الثقافة الرسمية الفصيح وحده. وتراوح موقف الديمقراطيين الثوريين والماديين الجدليين من الثقافة الشعبية بين الرفض والاستبعاد على اعتبار أنها تحتوي الكثير مما يزيف الوعي أو معوق له، ومن جهة أخرى يري أصحاب النزعة الوطنية في ظواهر الثقافة الشعبية مظهرا من مظاهر الأصالة الوطنية ، ومجالا للتمجيد الرومانسي لكل نص قد يعتبرون به ، ويقترب منهم في هذا الرأي دعاة الانفصال والتمركز الثقافي والمروجين للخصوصية والتفرد. في حين نوه أصحاب الفكر التنموي بمنحاه الاقتصادي على أهمية التعرف على مكونات الثقافة الشعبية.

وتعكس هذه المواقف المتباينة تردد الطبقة الوسطي التي تعبر عنها مثقفوها حول الاعتراف بأهمية الثقافة الشعبية من عدمه ، ويمثل القاسم المشترك لمعظم هذه المواقف النظر إلى الثقافة الشعبية من خلال تصور أساسي يقوم على تعارض ثنائي بين الثقافة الشعبية والثقافة المبتغاه وفقا لمفهوم كل اتجاه للأصح والأنفع. ويري العمل الحالي أن الثقافة الشعبية مازالت حية وفاعله... وتستجيب لعوامل التغير. **ويدعم هذا الرأي آراء بعض رواد الفكر والأدب العربي كما يلي:**

الطهطاوي ودعم الثقافة الشعبية: "إن موقف الطهطاوي من الثقافة الشعبية لم يكن موقفا خاصا بالرائد الأكبر للنهضة الحديثة ، وإنما كان بلورة وإبراز لمنجزات اكتسبتها حركة النهضة الحديثة في مسعاها لتأسيس ثقافة وطنية

ناهضة. والتي اتخذت شكل وثبات ونبضات أكثر من الشكل الخطى المستمر. نظراً لما اعترضتها من عقبات ومحبطات (حواس ، 2006 ، 12، 13). فكان الطهطاوي أحد الرواد الذين قاموا بالبناء الأول فيما يتعلق بتكوين الثقافة الوطنية الناهضة وبتأسيس هذا التوجه وتعزيز إستراتيجيته منذ أن نشأ التفاته النظامي إلى الثقافة الشعبية وتنامي على نحو ما نراه في تلخيص الإبريز وما ورد به من قراءاته وترجماته.

وقد استلهم نجيب محفوظ التراث ، فيطالعنا في أعماله الأدبية بتوظيف واستلهام الأدب الشعبي وطرح تفاصيل الحياة للطبقات العريضة من الشعب المصري عبر التاريخ. وبسياق الحياة الاجتماعية في كل أبعادها ، تسلل إلى عمق الشخصية البسيطة ، والثقافة الشعبية بإبداع فعبر عنها من خلال تشريح همومها وآمالها وطموحاتها وفي سلبياتها وعجزها ، وأساليب الحياة عموما بلغة تسهل على الإنسان البسيط فهمها ، وعلى المثقف الناقد وعيها وتدارك سلبياتها. فكشف عن التراث باستلهامه في تشكيل رواياته وإبداعاته ، فالرويات التي كتبها في بداية حياته الأدبية تتصل بالتراث اتصالا أساسيا. فاستطاع الأديب العالمي أن يقيم تواصلا خلاقا بين الموروث وبين الواقع الراهن المعاش وأقام من صور المحاكاة بين مصر الحالية ومصر في فترات تاريخية سابقة من خلال ما مرت به من أزمات سياسية أو غيرها. وطرح بأسلوب مبسط أدق تفاصيل حياة المصري في فئات متنوعة سواء المثقفين أو أصحاب الحرف ومجتمع الحارة المصرية ، وغيرها وطرح فكرة التداخل الثقافي والعلاقة بين الطبقات وغيرها مما يشكل فكر الجيل في كل فترة تاريخية.

كما قدمت أعمال عبد الله النديم مثلاً للأديب المهموم بالشعب والثقافة الشعبية ، فكان داعما للثقافة الشعبية في أعماله الأدبية ، وأبرز أعماله كانت مساندة للثورة العرابية ، وفي إطار مساهمته في مشروع النهضة في عصره. فكان قادرا على التواصل مع الفئات الشعبية البسيطة خاصة الفلاحين ، حيث عبر عن همومهم وقضاياهم وهموم وقضايا الشعب كله ، فقدم أدباً (قصة- زجل- مقال) كان انعكاسا لواقع مرير عاشه الشعب. وحاول كأديب توعية الشعب بواقعه وبمشروع النهضة المأمول ، بأسلوب بسيط. فقد جعل من الزجل في التنكيت والتبكيت أنشودة لمقاومة الفقر والظلم والطغيان ، وجعلها صوتا يلهب ظهور الخاملين والغافلين.

ويعتبر توفيق الحكيم رائداً من رواد التنوير العربي الذي عني جماليا وفكريا وأدبيا وفنيا بوعي معرفي نقدي تاريخي بالفنون الشعبية عامة والأدب الشعبي العربي خاصة. باعتباره تعبيرا جماليا عن "روح الشعب" وقضايا المجتمع وضمير الأمة وشخصيتها الوطنية القومية وتلك المفردات جميعها تنسب للحكيم نفسه من هنا تتجلي شرعية الاعتراف بهذا الأدب بدلا من الاستعلاء عليه أو تجاهله وتهميشه أو تغييبه ، كما تتجلي أيضا شرعية استلهامه وتوظيفه والتناص منه والتعلق به باعتباره طرفا . وليس ترفا . في التعبير عن واقع الشعوب وأحلامها الجمعية ، وفي تفسير آمالها ، تعبيرا أو تفسيرا جماليا خلاقا ، افتقده الأدب العربي الرسمي (النجار ، 2006 ، 9) وقد استلهم الحكيم نفسه الأدب الشعبي بكل أنماطه التعبيرية ، من سير وحكايات ونوادر في معظم أعماله الإبداعية المسرحية والروائية.

واستلهم الشاعر أمل دنقل وكثير من الشعراء التراث في كثير من القصائد الشعرية وتوظيفه بطريقة بارعة ، وأعتز اعتزازاً كبيراً بالتراث العربي الإسلامي فكان يقول: لكي تشعر فردا ما بالانتماء ، عليك أن تذكره بأساطيره وتراثه بطريقة فنية ، فإستخدام الأساطير والتراث الفني ليس فقط كرموز لأبطال العمل الفني وإنما أيضاً لاستنهاض أو لإيقاظ القيم التاريخية في نفوس الناس (زايد ،2005 ، 93). ومن ثم كان هدفه من توظيف التراث أنه ذو قوة تأثيريه على الناس في تمثل القيم والاتجاهات وغرس العادات الحميدة ، فيستلهم الشاعر من الموروث ما يستطيع أن يحقق إسقاطاته المختلفة لإيقاظ الوعي تجاه قضايا مهمة في حياتنا. فنظر **دنقل** للموروث من خلال شعره ونظر للشعر باستلهام الموروث وأنه لا غنى عن دماء الأجداد التي تمتزج بالواقع وتدفعه نحو البقاء.

❖ خامساً: التربية وإعادة البناء السياسي والعلمي / الثقافي للإنسان ودواعي الاهتمام بهما باستلهام الموروث الشعبي:

إن الثقافة والتاريخ صناعات إنسانية تتطور بتفاعل الإنسان مع الطبيعة المادية والاجتماعية ، وتطور وعيه في ظل لحظات الزمن الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل. من ثم فإن الموروث الثقافي يمثل جزء من تكوينه لا يستطيع الانفكاك منه ، فيؤثر فيه ويتأثر به. وهذا يتطلب ضرورة الوعي لانتقاء ايجابيات هذا الموروث والإفادة منه في بناء الإنسان المعاصر. وسوف يتناول الفصل البناء السياسي والعلمي /الثقافي للإنسان.

هناك عدة عوامل تدعو إلى إعادة البناء السياسي والعلمي/الثقافي للإنسان العربي ، وأهمية الإفادة من العناصر الايجابية في الموروث ؛ لوضع أسس رصينة لهذا البناء. **ومن أهم هذه العوامل ما يلي:**

1- الظرف السياسي الراهن والذي استدعى أحداثا تاريخية مشابهة في مضمونها:

فالأحداث المتراكمة التي أفرزت ثورة يناير ، والثورات العربية الأخرى والذي تضامن فيها العلم مع الحاجة الملحة للتغيير السياسي ، تتشابه من حيث المضمون في فترات تاريخية متباينة في التاريخ العربي والإسلامي. فمتى وجد (الاستبداد والظلم والقتل وسفك الدماء وإفقار الشعب والافتقار إلى العدالة) توافرت دواعي الثورة ومحاولة انتزاع الحقوق. ومن ثم الاستفادة من أساليب المواجهة والخبرة بما تحمله من معارف ومهارات وقيم. كما أن التداعيات التي أفرزتها ثورة يناير من عنف متعدد الأبعاد - سواء كان عنفا مبررا أم غير مبرر بتحريض داخلي أم خارجي أو من كلاهما- وإبراز بعض القيم السلبية تتطلب إعادة صياغة البناء السياسي والعلمي في المجتمع المصري في إطار قيمي أخلاقي لتكوين وعي نقدي بأسس بناء الإنسان.

2- الإغتراب المجتمعي والتربوي باستبعاد وتهميش الثقافة الشعبية بمضمونها السياسي والعلمي/الثقافي:

المستقرأ للواقع الثقافي المجتمعي أو المدرسي (الثقافة المدرسية) يجد استبعاد أو تهميش واضح للثقافة الشعبية من جملة العناصر الفاعلة في بناء الإنسان. وهذا قد يعود إلى ما تم مناقشته في نقطة سابقة حيث ازدراء تلك الثقافة

وتحقيرها. فالثقافة الشعبية لم تفهم ولم تدمج داخل المدرسة أو الجامعة أو وسائل الإعلام ، لهذا السبب. وهذا يعتبر موت لجزء كبير من البنية الثقافية الكلية ، بمعنى اغتراب كتلة عريضة من الشعب بل الشعب كله عن ذاته المتمثلة في موروثه الثقافي الشعبي ، الأمر الذي يمتد أثره إلى الاغتراب الاقتصاد سياسي ، والتربوي.

وفي هذا يقول دوسيل: (خليفة ، 2007 ، 86): "الموت الثقافي للطفل هو اغترابه تربويا ، فبينما يقتل الطفل في رحم الأم عن طريق الإجهاض فإنه يقتل في رحم الشعب بواسطة القمع والقهر الثقافي. وغالبا ما ينفذ القمع والقهر باسم الحرية ، وبأفضل وسائل المناهج التربوية".

3- خصوصية السياق الاجتماع تاريخي الراهن (التوراث العربية المتنالية تستدعي تغيير النظرة للإنسان العربي):

يمثل الموروث الشعبي جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الذي نشأ فيه ، ويتأثر بأوضاعه وظروفه ومجالات الحياة اليومية ، فكل عصر له قواعده وأساليبه وطرقه في التعبير يسلك في ضوئها وتتشكل أنماطه الفنية والعلمية والأدبية والسياسية والتربوية.من ثم تأتي خصوصيته الاجتماع تاريخية. ومع تلك الخصوصية تستمر الموروثات وتحيا نظراً للحيوية والتواصل الذي يتحقق بين الأجيال وبينه ، وبين ما هو كائن ، والتكامل الإبداعي الذي يبرز لنا عناصر متميزة للاستمرار ورؤية أفضل للمستقبل. وخصوصية السياق الاجتماع تاريخي الراهن تحتاج إلى استلهام كل ما يؤسس لبناء حر ومبدع للإنسان العربي ، ومنها إيجابيات موروثه الثقافي الشعبي.

4- كليلة ودمنة دعوة لإقامة مجتمع العلم والمعرفة وتجاوزه إلى مجتمع الحكمة:

وصفت بعض الأدبيات مجتمع المعرفة على أنه ذلك المجتمع الذي نعيشه الآن تتدفق فيه المعلومات وتتواتر فيه المعرفة إلى الحد الذي لا يستطيع الإنسان ملاحقتها. لذا كانت إقامة هذا المجتمع يستوجب كيفية الاستفادة من هذا الحجم الكبير من التدفق المعلوماتي واستخدامه في إنتاج المعرفة على كافة الأصعدة ثم نشر هذه المعرفة واستخدامها واستثمارها في إنتاج معرفي جديد. وهناك شروط معينة لإقامة هذا المجتمع الإنساني القائم على التنمية الشاملة وأهمها في الوقت الحالي التنمية المعرفية على اعتبار أنها مرتكز أساسي لكل نمط من أنماط التنمية. وقد قدم **نبيل علي** بعض الشروط اللازمة لقيام مجتمع معرفي عربي والتي تكمن في رأيه في إطلاق حرية التعبير وضمان الحريات الأساسية. ومن ثم السعي إلى تكامل إقليمي. وأنه لا سبيل لتحقيق هذا التكامل إلا من خلال مدخل ثقافي ينطلق من اللغة العربية ، بصفتها البوابة الملكية لتحقيق هذه الغاية (على ، 2009 ، 2).

ولما كان العمل الحالي بصدد دراسة وتحليل كتاب كليلة ودمنة ، فإنه يرى في هذا الكتاب دافعا لتحقيق مجتمع المعرفة بدءا من ظروف تأليفه ، وترجمته وما يشتمل عليه من مضامين تربوية تحض على الحرية والشورى ، والعلم ، والمعرفة والحكمة...وهي شروط ضرورية لإقامة مجتمع العلم والمعرفة ، بل يتجاوزه إلى مجتمع الحكمة. بالإضافة إلى هذا دفع المجتمع إلى الوحدة والتوظيف المعرفي ودعم الحريات.

يقـول طـه حسـين في مقدمـة كليلـة ودمنـة في هـذا الشـأن: "هـذه الحكمـة في صورتها العربية رمز لما نحب أن يكون من تعاون الأمم الشرقية على إشاعة البر والتقوى ، وإذاعة الخير والمعروف ، ومقاومة الإثم والعدوان... ويمكن للتاريخ والنقد الأدبي من أن يعيدا نظرهما في هذا النص القديم ويستخلصا منه نتائج جديدة لها قيمتها وخطرها" (حسين ، 1941 ، 9).

هذا ونلحظ في كل أجزاء الكتاب ، العديد من المقاطع الحافلة بالآراء حول أهمية التعقل وإعمال عقل الإنسان وتحليه بالسلوك السياسي والعلمي والثقافي الرشيد. وفي ذلك يقول حواس عن ثراء مقدمة الكتاب بالنفيس من القيم والحكمة وما يدعو إلى الرشد والوعي (حواس ، 2006 ، 77): "ضرورة خروج البشر وأولهم ملوكهم ، من ضلالهم ، ومن مألوف استلابهم الداخلي والخارجي".

5- الطغيان السياسي للسلطة:

يمثل كتاب كليلة ودمنة زادا في تسيير شئون الملك وأحوال السلطة فهو يؤسس لنظام سياسي وأصول للحكم القويم وأساس العلاقة بين الحاكم والشعب وعلاقة الحاكم بالعلم والعلماء والثقافة ، والأخلاق. فالمضمون العام له كشف زيف نظام الحكم ، ومقاومة الطغيان والاستبداد والحاكم الطاغية ، والذي يتسم بسمات وأساليب يقهر بها ويسيطر من خلالها على إرادة ومقدرات شعبه.

"فيرى أرسطو أن الحاكم الطاغية له سمات تميزه عن الملك ، وأن الطاغية كي يحتفظ بحكمه لديه عدة وسائل لكي يحمي بها غاياته من الحكم منها أن الطاغية كما يقول أرسطو يدفع لكي يحمي نفسه أما الملك أو الحاكم الصالح فيحميه النظام ويدافع عنه المواطنون. كما يتصف الطاغية بعدم ثقة الشعب

ويقف موقف العداء من المشاهير والأعلام ويحاول القضاء عليهم "ضرورة التخلص من العناصر البارزة في المجتمع". **ويتخذ الطاغية من الوسائل والحيل لكي يحتفظ بعرشه منها** (إمام، 1994، 143-150):

- تدمير روح الموطنين، وزرع الشك وانعدام الثقة فيما بينهم.
- القضاء على البارزين من الرجال وأصحاب العقول الناضجة.
- جعل التعليم لونا من الدعاية للحاكم، وحجب كل ما يعمل على تنوير النفوس والثقة بالنفس.
- منع المواطنين من التجمع لأغراض ثقافية أو أي تجمع مماثل، وغرس كل ما يجعل المواطن غريب في وطنه.
- يجتهد في أن تكون لديه معلومات منتظمة حول ما يفعله رعاياه أو يقولونه.
- إفقار رعاياه حتى لا يكلفه حرسهم، وحتى يشتغل المواطنون بالبحث عن قوت يومهم.
- إن الطاغية يرى أن الناس جميعا يودون الإطاحة به، غير أن الأصدقاء وحدهم هم الذين يستطيعون ذلك، تسره المداهنة، وينتش من النفاق، ويريد من يتملقه.

وفي سياق العلاقة الوثيقة بين السياسي والعلمي ووضع التنمية في أي مجتمع، حدد السيد يسين مجموعة من النضالات التي يدعو من خلالها ضرورة تحديد طبيعة المعركة، كإعادة النظر في مفهوم التنمية على المستوى العالمي وتحقيق السلام العالمي، وإزدواجية المعايير في تطبيق حقوق الإنسان وعدم فرض نموذج الديمقراطية الغربية كنموذج أوحد وغيرها مما يتطلب صياغة نسق قيم

عـالمي يحـترم حريـة الشعوب ، ويسـهم في تقـدمها في ظـل حضـارة إنسـانية جـديرة بالتحقق في القرن الحادي والعشرين (يسين ، 2009 ، 20). وتتطلب المرحلة التي يمر بها العالم الآن إلى حالة من الحكمة والتحكم في أبعاد تلك المرحلة بعقلانية بالغة لاجتياز الأزمات المترتبة على عمليات التغيير والتحول المتتالي في الأنظمة السياسية.

6- التربية وإعادة البناء السياسي ، ودعم الثقافة السياسية:

تقوم التربية بمهمة بناء الإنسان في جميع الجوانب عقليا وبدنيا وخلقيا وعلمياً وسياسياً وعلى قدر رصانة التربية وثرائها وإبداعها يكون شكل ونوعية البناء الإنساني. ففي البناء السياسي تحدث التاريخ عن الكيفية التي صنعت بها التربية الإنسان الروسي في روسيا الاشتراكية وفق رؤى النظام الحاكم ومن ثم ارتبط مصيره به وانهار لحظة انهياره منزوع الإرادة خالي من الوعي والحكمة. وهكذا صنعت التربية في ظل النظام النازي. فعملت التربية على تغييب وعي الإنسان بدلا من إيقاظه وإنمائه. وفي العصر الراهن في ظل العولمة وما بعد الحداثة والتأثير على الخصوصيات الثقافية والقيم ، تتعرض التربية نفسها للاستلاب والتغييب والتبعية مما يتطلب وعي التربية بذاتها وضرورة تجددها بمعاودة التفكير النقدي في كل أسسها ومحتواها. وبناء الإنسان المفكر الحاضر الوعي الناقد للنظام والمشارك له في صنع القرارات لا التابع المهلل له دون وعي.

وإذا اعتبرنا أن الوعي التربوي كمجموعة الآراء والمفاهيم والمعارف والقيم والأفكار والنظريات التربوية التي تحكم العمل التربوي وسلوك الفرد والجماعة في مجتمع ما. فإن الوظيفة السياسية للتربية في إطار هذا الوعي تتجسد في إكساب

الفرد القيم والمعارف والاتجاهات اللازمة لإكسابه وعيا سياسيا ، ويكون قادرا على المشاركة السياسية وتطويرها ، وتشكيل النشء طبقا لها ، أي من خلالها يتم تحويل ثقافة سياسة معينة إلى اتجاهات وممارسات سياسية تلك الثقافة التي تمثل المعتقدات الواقعية والرموز التعبيرية والقيم التي تحدد الوضع الذي يحدث الفعل السياسي في إطاره. ووفقا لقاموس أكسفورد *Oxford* **تعرف الثقافة السياسية على أنها** "الاتجاهات والمعتقدات والقيم التي تتصل بنظام سياسي محدد. وتعد بمنزلة معرفة متضمنة ، ومهارات مكتسبة عن عمل هذا النظام ، كما تتضمن مشاعر إيجابية أو سلبية نحوه ، وكذا أحكاما تقيميه بشأنه" (Oxford , 1996 , 379).

ويقترب تعريف كمال المنوفي للثقافة السياسية بتعريف قاموس أكسفورد كما يلي (المنوفي ، 1988 ، 40): "تلك القيم السائدة في المجتمع وتصل بعلاقة أفرادها بالنظام السياسي بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فالثقافة السياسية تؤثر في توجيه السلوك السياسي للأفراد لمجابهة الظلم والقهر والاستبداد الذي يذبح أنسنة الذات الإنسانية" . وقد **تحدث باولو فريري** عن مفهوم الأنسنة هذا من خلال مناقشته لأوضاع القهر في العالم الثالث والعلاقة بين المقهورين وقاهريهم ، فيرى:" أن الأنسنة ما تزال ترزح تحت وطأة الظلم والاستغلال والقهر والعنف الذي يمارسه القاهرون ، وعلى الرغم من ذلك فإن حقيقتها تتأكد بنداءات المقهورين للحرية والعدالة ونضالهم المستمر من أجل استعادة إنسانيتهم الضائعة (فريري ، 1979 ، 27) . بالتالي يقع عبء التحدي والمواجهة على المقهورين في رحلة نضال تتطلب الإرادة الواعية."

هذا وتتطلب الثقافة السياسية ، التنمية السياسية والتي تشير ضمن ما تشير إلى إقامة الأبنية التي تسمح بالمشاركة الشعبية في العملية السياسية وخلق جهاز إداري قادر على التنفيذ الفعال للسياسات الإنمائية وتلبية مطالب المواطنين وبناء الديمقراطية بما يتضمنه ذلك من إنشاء المؤسسات السياسية الديمقراطية وإرساء تقاليد الممارسة الديمقراطية ، وخلق ثقافة سياسية تؤكد على الولاء القومي (عبد الفتاح ، 2003 ، 441).

ويرى عبد السلام نوير: أن جوهر الثقافة السياسية في:" نمط من المعارف والاتجاهات والقيم الخاصة بفرد / مجتمع ، والتي تتصل بعلاقته بالنظام السياسي بشكل مباشر أو غير مباشر ، والتي تعكسها رموزه التعبيرية ، لفظية كانت أو حركية" (نوير ، 2011 ، 15). وهكذا ترتبط الثقافة السياسية بالعامل الثقافي وتصاحب الأنشطة الأخرى للفرد والمجتمع.

إن التربية التي تنعم بالحرية والتجدد تسعى إلى تكوين المواطن الحر في إطار الحرية الملتزمة ، التي تتطلب حكما عادلا ، كما تنص عليها الدساتير. وحدد كل من كالام & تالمان بعض الأسس العامة التي تمثل مبادىء وآليات للحكم الرشيد يمكن تشكلها حول خمس علاقات كما يلي (كالام & تالمان ، 2006 ، 32-34):

مبدأ الوحدة والتنوع ، ومبدأ أنا والآخر وهو دليل للإدارة من أجل الإصغاء والحوار والمشاركة..ومبدأ السلطة والمسئولية ، ومبدأ الملك والوجود ويعني عدم التشبث في العمل السياسي والإداري .أما المبدأ الخامس فهو احترام المأثور والتطلع إلى المستقبل ويشير إلى عدم تحطيم الميراث الروحي للمجتمعات باسم العقلانية أو الحداثة. ما سبق يتطلب رقابة شعبية ، وتوليد وتطوير رأي عام نشط ، وفعال

إزاء سياسات ومصالح الصفوات السياسية الحاكمة. كما يتطلب تنمية ثقافة سياسية تتناسب مع المجتمع المصري/العربي في الظرف الراهن ، تتأسس على المشاركة وإنماء الاتجاهات والقيم التي تحث وتنمي المواطنة والانتماء والمشاركة في البناء. وقد حث كتاب كليلة ودمنة على تلك المبادئ وتلك القيم في مواضع كثيرة.

7- التربية وإعادة البناء العلمي ، ودعم الثقافة العلمية:

ربما لا يملك الحس الشعبي بصيرة صادقة بشأن كثير من الأمور العلمية ، لكنه يملك بصيرة تنبئه بكثير من الأمور أيضا ، تلك التي تكونت لديه بحسه الجمعي من الوقائع التجريبية ، والتي لا يمكن رفضها. ولكي يجد أي مجتمع مآربه في التقدم والرقي ؛ عليه أن يتيح للإنسان الحوار الدائم مع العلم في هذا المجتمع ، خاصة العلماء وذلك بالتواصل المستمر مع قضايا المجتمع. ولا يتم هذا الأمر بنجاح إلا إذا كان كل فرد في المجتمع "مواطن علمي" يتواصل مع العلم بقدر ما على حسب الامكانات المتاحة ، وعلى أقل تقدير يحترم العلم يقدر العلماء ويشجع عليه ويعي أهميته للفرد والمجتمع ، أي لديه قدر من الثقافة العلمية.

وتتمثل العناصر المكونة لبنية الثقافة العلمية في أربع عناصر كما يلي (مكروم ، 2002 ، 113): العنصر الأول المعرفة بثوابت العلم الأساسية ، وعلاقاته وتطبيقاته. والعنصر الثاني ثقافة العلم والوعي بمستحدثات التكنولوجيا وسلوك استخدامها. والعنصر الثالث انعكاسات العلم/وثقافته في نموذج قيمي يحدد مسئوليات الإنسان تجاه عالم الطبيعة. أما العنصر الرابع فهو الاستيعاب الواعي لمتغيرات العلم وتقنياته في إطار مقاييس الارتقاء الحضاري.

وهناك أمران يجب التفريق بينهما الأول: المحتوى المعرفي للعلم ، والثاني: يتعلق بالسياق أو الوعاء الثقافي الذي يشكل فيه ذلك المحتوى المعرفي. ومع التقدم العلمي والتكنولوجي الكبير الذي يشهده العالم ، فإنه يمكن رصد ثلاث وجهات نظر مختلفة حول تأثير الثورة العلمية والتكنولوجية على سلوك وممارسات الإنسان القيمية المرتبطة بالعلم كما يلي: الأولى ترى أن العلم قد أفسد الأخلاق ، كما أعتقد جان جاك روسو (1712-1778م) بأن العلوم تحط من مكانة وقيمة الأخلاق وأرجع كل مظاهر الظلم والاستبداد والرزيلة والفساد في المجتمعات إلى تقدم العلوم والاكتشافات (الحصري ، 1999 ، 29). وتطمح وجهة النظر الثانية إلى أن كل شيء يبنى على العلم سواء تعلق الأمر بالمعرفة أو السلوك. أما وجهة النظر الثالثة فترى أن العلم والأخلاق ضروريان للحياة..(الجابري ،2003 ، 42 ، 51). وقد أكدت عديد من الدراسات (المؤتمر القومي العربي 2001) على مسئولية المجتمع والتربية من خلال مؤسسات عدة كالجامعات ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في نشر وتأصيل الثقافة العلمية ، وإحداث ثورة حقيقية في البحث العلمي بهدف خلق بيئة علمية مواتية تزدهر فيها العلوم ويشعر فيها المواطن العادي بأهمية ومكانة العلم والعلماء والثقافة العلمية. وقد حاول كتاب كليلة ودمنة إيصال القارئ لمثل هذه القيم بالحث المستمر على العلم والانتفاع به والعمل بما يقتضيه واتضح ذلك في مواضع كثيرة كشف عنها التحليل الكيفي للكتاب. من أجل البناء العلمي والثقافي للإنسان ؛ كسبيل لتطور وعيه وتحسين نوعية حياته.